



أشد أنواع المعاناة هي معاناة المرء في البعد عن ربه سبحانه، وأقسى أحوال الحياة، هي الحياة بعيداً عن نور الاستقامة الإيمانية، وأبأس اللحظات هي لحظات الذنب والمعصية، تلکم هي الحكمة الحقة التي يخرج بها كل إنسان بينما يفارق دنياه مقبلاً على آخرته.

إنها حياة بئيسة تلك التي تمر على أحدا أيام معصيته، يتمنى الصالحون أن لو محيت عن سجلاتهم ونسيت من ذاكرتهم وذاكرة الأيام!

لأن الكون كله يصير كئيماً بينما المسلم يعصي ربه، و رحابة الأفق تصير مساراً ضيقاً لانهاية له، والشهيق يدخل الصدر من ثقب إبرة! "ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء"

تكثر خفقات القلب وترتعد الجوارح، وتتكون في النفس حالة غريبة من الفصام بين الداخل والخارج، فالقلب يرفض الذنب، ولكنه لا يقوى على قيادة الجوارح بعيداً عنه، والنفس ترغب في الجموح ولا تجد من يملك زمامها أو يحجم ميلها.

عندها يحصل ذاك الفصام، وتظهر سلوكيات المعصية برغم كره العبد لها وتمنيه عدم حصولها، ذلك لأن قلبه الضعيف غير مؤهل لقيادة تلك الجوارح الرعناء فأى خيبة تلك التي تنتظر الفتى بينما تسيره أقدامه نحو ما يعلم ضرره ويتبين أذاه ويتأكد من خطره؟!

إنها لحظات فحسب يقضيها ذلك المفتون في متعة أو شهوة أو انحراف، تتبعها الحقيقة المقدرة، وتتلوها الوقائع المؤلمة، فيبدو الأسى، ويخيم الحزن، ويبدأ الانهيار.

أين ذاك العقل النابه بينما المرء منساق في متاهة سبيلها غضب الرب العظيم؟

أفلا يدلّه على قدر جرمه وفداحة خطيئته بينما يجترئ على عصيان الذي خلقه فسواه ورزقه فكفاه، وأنعم عليه كل نعمه،

ووقاه شر الأذى، وعلمه الهدى؟!

ياله من عقل خسيس، إذ يدل صاحبه على منافع الدنيا وينسى دلالاته على منافع الآخرة، وينبئه إلى إرضاء ذاته والناس، ويغفله عن إرضاء ربه والعالمين..

أفلا يستشعر كم من الراحة تجدها جوارحه وهو في فيض الإيمان الرحيب؟ وكم من السكينة تطمئن إليها نفسه وهو في سبيل الطاعة وخطى العبودية؟ وكم من التوفيق يحيط حركاته وسكناته وأفكاره وخطواته بينما هو يقترب من إرضاء ربه الأعلى؟ إن الإنابة تنادي أصحاب القلوب النازقة، والنفوس الجريحة من آثار الذنوب، تناديهم لحياة مطمئنة رحيبة، وتوبة تمحو الذكرى المؤلمة، وطاعة تذهب السيئات السابقة، وندم يحرق آثار الغفلة ويسد متاهة الانحراف.

قال سبحانه: "وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون"

فأقبل أيها القلب الكسير على ربك، وارجع إلى رحاب الرحمة، واستجب لنداء الإيمان..

ويا لها من فرحة تلك التي تنتظرك عندئذ ويا لها من سعادة تلك التي ستضمك إليها وتحتويك، ويا لها من حماية تلك التي ستحيطك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وشمالك ومن فوقك، تمنعك من الشيطان، وتنير بصيرتك نحو خيرك في الدارين.

المسلم

المصادر: